نار «ضروان» في «نقش مسندي» .. وفي «كتب التراث»

الأستاذ المؤرخ/ مطهر علي الارياني

قال النقش المسندي (سي/323/C)

"وجاء- الثيل(1) مهاجماً من جبل (ذقنم) ومدمراً كل مظاهر الحياة في كل ارض اجتازها، حتى وصل هذا (الثيل) إلى أراضي (مأذن) لهذا يشكر أهل(دمهان- الحقة وما حولها-) إلههم (تألب ريام) لأنه حمى بلدتهم ومعبدها ودورها.. الخ"

قال البكري(2)

"ضروان" بفتح أوله وثانيه، وفتح الواو، هو : الموضع الذي كانت فيه : نار اليمن: قال الهمداني: وهذه النار كانت في بعض قرانات مثلثات الحمل، فأ قامت قرانا كاملاً، فبلغت حدود شبام أقيان ومن الشمال بلاد الصيد، إلى ذي بين، ثم راجعاً إلى حباشة وأسفل مخصم، إلى مدر، فبيت الجالد راجعة إلى مكانها وقال العلماء: ضروان: هي الجنة التي اقتص الله خبرها في سورة(ن) وقال:كان يقال لمخرج النار" حزبي الخشاب" جميع خشيب، وهو ما كان من الحزن يأكل الحذاء.. الخ.

وقال القرطبي(3):

"وكانت الجنة بأرض اليمن، على بعد فراسخ ويقال فرسخين من صنعاء وهي جنة بضوران- ضروان- ابتلى الله أصحابها بان احرق جنتهم، وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير".

مدخل:

كان معلوماً أن النقش المسندي "سي/323/C" الذي استنسخه المستشرق النمسوي الكبير(ادوارد جلازر) في إحدى زياراته الأربع لليمن، ما بين عامي 1882 و1889م، يتحدث عن الثورة البركانية الكبيرة التي حدثت في المناطق القريبة من (صنعاء) إلى شمالها وشمالها الشرقي، وذلك في تاريخ اليمن القديم، قبل ظهور الإسلام ببضع مئات من السنين.

وهو حدث رهيب احدث في وقته دوياً هائلاً، حتى لقد ظل صداه يتردد في أذهان الأجيال إلى أن أحيا القرآن الكريم رجعه في آيات من سورة (القلم) وبالتالي تكرر ذكره في عدد من كتب التراث بأسماء مختلفة أشهرها (نار ضروان).

ولكن فرصة الاطلاع على النقش كما هو مدون في الـ(كوربوس) لم تتح لكاتب هذه الأسطر إلا منذ مدة ليست بعيدة(1).

وعند اطلاعه عليه، كان منهمكاً في تدوين بعض المفردات اللغوية، بما لها من الدلالات الخاصة في اللهجات اليمنية، وذلك لإنجاز الخطوة الثانية في المشروع اللغوي(المعجم اليمني "أ") بإصدار (المعجم اليمني "ب") من هذا المشروع.

ولهذا ولما في النقش من نقص كبير تبط عزيمة المبادرة أولا إلى نشره كاملا- كان الاكتفاء منه مبدئياً، بمفردة لغوية واحدة، ولكنها كلمة ذات قيمة كبيرة، لأنها من الناحية البنائية، وأهم من ذلك من حيث (المنطوق) و(المفهوم) كما سيتضح.

أما هذه المفردة فهي كلمة(الثيل) التي تكرر استعمالها في النقش المذكور، ثلاث مرات ببنيتها ذات الخصوصية وبدلالتها الخاصة المحصورة والمقصورة على مدلول واحد، لايلتبس بغيره، بحيث إذا هي نطقت مطلقة لم يعن قائلها بـ(منطوقها) غير مدلول عليه واحد لا سواه، ولم يتبادر إلى ذهن سامعها من المعاني إلا (مفهوم) وحد وهو ذلك المدلول عليه بعينه.

قد يقول قائل: ان ورود هذه الكلمة أو تلك في نقش مسندي قديم، ولا يبرر إدراجها في عمل لغوي يتعلق بالمفردات ومالها من دلالات خاصة في لهجات أهل اليمن ولكن العنوان الكامل للخطة الأولى التي تم تنفيذها في هذا المشروع، وهو (المعجم اليمني- في اللغة والتراث) يعتبر مسوغاً كافياً لأنه ينص على تعلقه بالتراث، على ان المبرر الأهم والكافي هو أن الجذر اللغوي(ث ي ل) الذي جاءت منه الصيغة الأسمية (الثيل) في النقش المذكور، لا تزال اللهجات اليمنية تحتفظ منه بعده صيغ، وتطلقها أسماء لبعض البلدان والأماكن، لما في مواقعها ونوع تضاريسها من تجسيد للدلالة التي لكلمة (الثيل) وذلك لقيامها في مناطق بركانية تركت عليها البراكين آثار ثيلها.

وبعد اختيار الكلمة ، وطبقاً لمنهج الكتاب المذكور في مجاله اللغوي خاصة، ثم في شيء من مجاله التراثي اليمني والعربي عامة ، تمت الكتابة حول هذه المفردة العربية اليمنية القديمة من منطلق يمني خاص يتوخي غاية لغوية عربية عامة، وذلك كما يلي:

(ث ي ل)

(الثيل) في اللغة اليمنية القديمة، هو : سيل الحمم البركانية المنصهرة ولم تأت هذه الكلمة فيما تم العثور عليه من نقوش المسند، الا في نقش واحد هو (سي/323/C) المستنسخ من بلدة (الحقة) في مخلاف" همدان- حملان-(1).

وفيما تم نسخه من النقش، تكررت الكلمة ثلاث مرات بهذه الصيغة الأسمية الوحيدة أي صيغة الاسم المعرف للمفرد المذكر(= ثيلن- ثيلان) معرفا بالألف والنون في آخره- أي (الثيل) كقوله: (واتو/ ها/ ثيلن/ عدى/ ارض/ مأذنم/) أي واتي هذه الثيل حتى ارض مأذن" النقش سطر 2 وسطر 3 وقد جهل الجذر(ث ي ل) كمادة لغوية متصرفة إلى أفعال وأسماء دائرة على ألسنة الناس، بهذه الدلالة المحددة نفسها.

ولكن اللهجات اليمنية، احتفظت بعدد من الصيغ الأسمية المشتقة من هذا الجذر اللغوي وأطلقتها في أزمنة مختلفة أسماء لعدد من البلدان والأماكن التي تجسد بطبيعة تكوينها هذا المعنى مما يبرهن على استمرار (المفهوم) لهذا (المنطوق) بحكم العلاقة الدلالية للأسماء بمسمياتها، ولكن الناس مع مرور الأيام جهلوا الدلالة والعلاقة معاً إلا أن الخبراء الجيولوجيين والدارسين اللغويين لا يزالون يجدون ان العلاقة بين هذه الأسماء وبين مدلولاتها على الصعيد الموضوعي مستمرة ومجسدة تجسيداً مادياً واضحاً.

فمن أسماء البلدان اليمنية المشتقة من الجذر (ث ي ل) بما كان لمشتقاته من دلالات مايلي:

اولاً:الثيل: اسم قرية في منطقة (قطابر) من أراضي (جماعة) شمال مدينة (صعدة).

ثانياً: الثيلة: اسم قرية من قرى (الشعيب) في منطقة الضالع.

ثالثاً:الثيلة: اسم قرية، في وادي (خب) في (الجوف).

رابعاً:الثيلة: اسم قرية تابعة لقبيلة(مراد) في مديرية(الرحبة- رحبة- مأرب).

خامساً:الثيلة: تصغير ثيلة- بلدة في بلاد (وادعة النجد).

سادساً:المثيل: اسم مركز إداري في منطقة(دمت) سمى باسم قرية (خربة المثيل).

سابعاً:يثيل: اسم مدينة يمنية قديمة بالجوف، وهي من أهم المواقع الأثرية في اليمن وأكثرها سلامة من الخراب والتخريب، ولا يزال معظم سورها قائماً، وكثير من أساسات بيوتها وأبنيتها ظاهراً، وقد عملت فيها بعض البعثات الأثرية الغربية وأهمها البعثة الايطالية برئاسة البروفسور(اليساندرو دي مجريت) التي رممت وأبرزت معبد الههاالرئيس (نكرح).

وترى اشتفاق اسمها من (ث ي ل) بدلالتها، رغم اختلاف الدارسين حولها (مفهوماً) ومنطوقاً)- يراجع في هذا كتاب(صفة جزيرة العرب) للهمداني، و(معجم البلدان اليمنية) لإبراهيم المقحفي-.

ومن خلال هذه الأسماء البلدانية وصيغها المتعددة، والتي أطلقت على مسمياتها منذ أزمنة منها ماهو قديم بالتأكيد مثل(يثيل) المعروفة في نقوش المنسد منذ أكثر من خمسمائة عام قبل الميلاد نستنتج أن مادة (ث ي ل) كانت مصرفة، فيقال فيها: ثال يثيل وثيلانا.. الخ كما يقال في : يسيل سيلا .. الخ.

ولاشك ان التشابه بين مادتي(ث ي ل) و(س ي ل) وكلمتي (الثيل) و(السيل) واضح لما بينهما من تماثل في البناء الصوتي وفي الدلالة الذهنية والموضوعية، أي في (المنطوق)و(المفهوم) وذلك رغم بعض التفاوت من حيث الشكل والكيفية لا من حيث الجوهر والماهية.

فكلا الجذرين- س ي ل، ث ي ل- ثلاثي، أجوف، يأتي، على وزن(فعل) : وحرفاهما الأخيران متطابقان، والفارق ين حرفيهما الأولين فارق باهت او رمادي أن صح التعبير لا يفصل بينهما فصلا تاما وذلك لتقارب المخرجين، ولأنهما- أي السين والثاء- يتبادلان الأماكن منذ القديم.

أما المصدران الاسميان- (السيل) و(الثيل)- فينطبق عليهما من حيث البناء ما سبق، وبرغم أن اختلاف حرفيهما الأولين بين (السين)و(الثاء) قد يبدو أمرا عرضياً، مما يحدث في اللغات دون حاجة إلى تعليل وذلك عند النظر إلى الدلالتين المتماثلتين نظرة عامة مجملة فإنه عند التدقيق في الخصوصيات اللطيفة، التي تجعل من مثل هذا الاختلاف بين حرفين في (منطوق) كلمتين متشابهتين من حيث(المفهوم) أو الدلالة لغوية جديرة بالتنويه بها حرفين في (منطوق) كلمتين متشابهتين من حيث (المفهوم) او اللطيفة التي تجعل من مثل هذا الاختلاف والتنبيه إليها لأنه تلقي بشيء من الضوء، على ما تتصف به الآلية اللغوية من تقنية رفيعة تنوع إنتاجها الدلالي حتى بواسطة تغيير ولو جزئي في (المباني) كما إنها تضيء ما تتسم به الحاسة اللغوية الجمعية للناس من الرهافة والدقة في تحميل الحروف أدق الدلالات والايحاءات وهذا موضوع واسع وعميق للدراسة ويكفي هنا الإشارة لاى ما في حرف (السين) في كلمة(السيل) من إيحاء بالسلاسة والانسياب والسرعة وهي الخصائص الذهنية والموضوعية لحركة الكثير الجاري من الماء أي (السيل) ثم الإشارة إلى ما في حرف الثاء) في الثيل) من الإيحاء بالكثافة والثقل والتثاقل المتريث، وهي من خصائص تحرك (ثيل) الحمم البركانية.

وبالعودة إلى مادة(ث ي ل) موضوع هذه الكلمة نجد أن الصيغة المصدرية الاسمية (الثيل) قد أطلقت في النقش اسما لسيل الحمم البركانية الحي، كما أطلقت في اللهجات اليمنية أسماء لقرية في (قطابر) لأنها تقع في ارض غطتها الحمم البركانية المنطفئة، فهي بهذه الدلالة الثانية، مرادفة لما يطلق من أسماء في اللغة العربية على الأراضي البركانية كـ(الحرة و(اللابة) و(الخشب) ونحوها وكذلك كلمة (المتيبل) في أدلالة الثانية مرادفة كاسم لقرية فيما سبق ذكره.

ولكن كلمة (الثيلة) التي تكررت اسما لثلاث قرى فيما تقدم، تبدو هي الاسم الأحرى أن يطلق على ما في اليمن من اراض بركانية، بحيث يصبح الاسم (الثيلة) اسما خاصا لا يدل إلا على هذا المعنى نفسه (1) فيكون مرادفاً لأسماء (الحرة) و(اللابة) و(اللافا) مع زيادة في تخصصه الدلالي.

أما الاسم القديم (يثيل) فهو يكتب في نقوش المسند دائماً بدون(ياء) بعد الـ(ثاء) كما هي قاعدة الكتابة المسندية التي لا تثبت الصوتيات أي حروف اللين الساكنة، ولا يعلم احد يقينا كيف كانوا ينطقونه وللدارسين آراء في نطقه واشتقاقه أما كاتب هذه السطور فيرى ان نطقها هو (يثيل) وان اشتقاقها هو من مادة(ث ي ل) وبالدلالة نفسها وهي اسم بصيغة الفعل المضارع للمذكر المفرد الغائب، والتسمية للاماكن والإعلام بهذه الصيغة المضارعية للمذكر وبصيغة المونثة الغائبة ايضاً كانت ظاهرة شائعة في اللغة اليمنية القديمة، ولا تزال عليها أدلة كثيرة من أسماء المدن والقرى اليمنية اليوم مثل(يريم) و(يريس) و(يشيع) .. الخ ومثل (تريم) و(تريس) و(تفيش) الخ...

استطراد

في هذا النقش- كما سيأتي- نقص كبير في أوله، مما أدى إلى فوات فرصة محتملة وواردة وهي ان يكون النقش قد ذكر الكلمة التي كانت تطلق في اللغة العربية اليمنية كاسم خاص لـ " البركان" لان أول فعل في المتاح من النقش هو(برر) بمعنى: هاجم، أو : اقبل مهاجما وهو فعل كان يستعمل للهجوم في الحرب واستعمل هنا لهجوم (ثيل)البركان، وفي هذا الفعل ضمير مستتر يعود على اسم سابق له فما هو إذا هذا الاسم هل هو (الثيل) أم (البركان) ان هذا السؤال لا جواب عليه اليوم، ما دام اسم البركان لم يرد هنا ولا في أي نقش آخر، ويظل الاحتمال الوارد مجرد احتمال لا أكثر.

أما في اللغة العربية فإنه لا يطلق على البركان إلا اسم (النار) مضافاً إليها اسم يخصصها فيقال (جبل النار) و(حرة النار) او يقال: ظهرت النار، وتارت النار.. الخ".

أما كملة البركان فهي طارئة على اللغة العربية ويبدو انه كان لعلماء الاندلس اليد الاولى او الطولى في ادخالها الى القاموس العربي، او على الاقل لكثرة استعمالها عندهم حتى اصبحت في ادبياتهم كلمة بلاغية تأتي في شعرهم ونثرهم، فهذا ابن حزم الاندلسي ت/ 456 هـ يستشهد خلال نثره الفني ببيت يقول:- (رسائل ابن حزم صـ 166).

كمهدٍ الى البركان نار الحباحب
وباني صوى في مهيع القصد لأحب

كما يستشهد بالبيت (ابن المقري) في كتابة (نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب صـ 156) إما (لسان الدين الخطيب) في (الإحاطة في أخبار غرناطة صـ 69) فيقول معبراً عن حر الشوق ولهيبه: " هذا شوقي يستعيره البركان لناره، ووجدي لا يجرى قيس في مضماره... الخ" وجاء ذكر البركان ووصفة في رحلة ابن جبير الاندلسي هذا بينما لا نجد الأمر كذلك عند علماء المشرق وأول ذكر عابر له عندهم لم نجده فيما بين أيدنيا من المراجع إلا عند المسعودي في (مروج الذهب صـ 45) وهو فيه يبدو متفرداً ومقتدياً بعلماء الأندلس.

ولعل علماء الأندلس اخذوا كلمة البركان من الثلاثينية ومبعث اهتمامهم هو كثرة مشاهداتهم للبراكين وسماعهم عنها، وعلى الأخص بركان (صقلية) الشهير.

ذلك هو ما تمت كتابته حول مادة(ث ي ل) لغويا، وما تلا من استطراد ولما قرئت هذه الكلمة في مجلس ضم عدداً من المهتمين بكل ما له علاقة باليمن التراث اليمني بينهم عدد من المتخصصين في الدارسات اليمنية القديمة والدراسات العلمية الحديثة تطابقت آراء جميع الحاضرين على ان النقش المسندي (سي/ 232/ C) يعد من نوادر النقوش وأكثرها أهمية نظرا لفرادة موضوعه ولكونه لايهم الدارسين في المجالات التاريخية واللغوية فحسب، بل ويهم المتخصصين في الدراسات الطبيعية وعلوم(الاراضه- االجيولوجية) بمختلف تخصصاتها ولهذا فان الكتابة حول بعض مفرادات النقش اللغوية، لا تحول دون المبادرة اولاً نشرة وشرحه ووضعه كاملاً- كما عثر عليه- امام الدارسين.

كما تطابقت آراؤهم وأطبقت على كاتب هذه الأسطر للقيام بالمهمة ورغم انه كان بالمجلس من هو أجدر منه واقدر على الاضطلاع بها الا انه قبها فقد سوغوا تكليفهم له بما سبق أن حدثهم به عن معرفة سابقة له بالمنطقة ورأى بعض الحاضرين انه لا مانع أن يستهل نشر النقش بما تمت كتابته من مادة لغوية حول كلمة (الثيل) فيكون في ذلك نوع من التجديد في نشر النقوش.

ولما وجدت انه لابد مما ليس منه بد، عادت إلى نفسي ذكريات احتفظ بها عن الزيارة الأولى للمنطقة التي يتحدث عنها هذا النقش وما تبعها من زيارات ففي الأعوام الأولى من سبعينيات القرن الماضي، قمت بعدد من الجولات على المناطق الأثرية المحيطة بمدينة(صنعاء) وكانت بلدة (الحقة) من أولاها فقد زرتها للمرة الأولى عام 1970 ثم شملت زياراتي (ضروان) و(جربان) ومنطقة بجانبها تسمى (حومل) وأنقاض (مرمل الأثرية) وبلدة (بني الزبير) التي في بيوتها كثير من الحجارة والكتابات المأخوذة من أنقاض (مرمل).

وبعد ان تجولت في إحدى هذه الزيارات بني (الحرات) أو (اللابات) أو الأرضي التي طمها (الثيل) تحت طبقات خشنة غليظة حالكة السواد وجدت ان المشادة الشاملة لهذا المنظر المريع لن تتم الا من قمة جبل (ضين) أعلى جبال المنطقة، فخصصه برحلة وتسلقته من جانبه الغربي قبل ان تشق فيه طريق للسيارات وان انس فلن أنسى ما شاهدته من المناظر المروعة من على هذه القمة.

كل هذه الخواطر ومالي فيها من أحاديث وحوادث وذكريات جالت بخاطري في ذلك المجلس، ولكني وجدت الأمر مختلفاً عل نحو ما هذه المرة فقلت للحاضرين.

لقد كن لزياراتي السابقة للمنطقة غاية أولى أتوخاها وهي غاية أثرية وبالأخص غاية(ابيوجرافية) تتبع الكتابات المسندية لاستنساخها وتصويرها، وقد قدمت عن أهم هذه الزيارات بعض التقارير الى الجهات المسئولة عن الآثار آنذاك.

أما هذه المرة فارا انه من المستحسن ان يضاف الى المهمة(الابيوجرافية) التاريخية مهمات عليمة طبيعية يقوم بها أهل الاختصاص لإيجاد نوع من التنسيق والتناغم بين الدراسات الإنسانية النظرية والدراسات العلمية العملية لما في ذلك من الفوائد المشتركة.

وبلور الحاضرون الفكرة وكان من الحاضرين الأخ الدكتور إسماعيل الجند رئيس (الهيئة العامة للثروات المعدني) فقال: سوف اخرج معكم لأخذ معكم لأخذ عينات للتحليل وسأحضر معي خارطة جوية تشمل المنطقة البركانية كلها(1) وكذلك كان الحاضرين الابن العزيز المتخصص في مجال التصوير الفوتو غرافي عبدالكريم حسين الارياني فقال: سوف اكون معكم لأخذ الصور اللازمة (2) ورأى الاخ الدكتور عبدالكريم علي الارياني ان ينضم الى المجموعة الاخ الدكتور محمد عبدالباري القدسي ممثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمتخصص في مجال الدراسات البركانية وتم الاتصال الهاتفي به فوافق مرحبا بالانضمام الى المجموعة ثم راي الاخ الدكتور عبدالكريم الاتصال بمحافظ(صنعاء) الاخ العزيز الأستاذ الشيخ عبدالواحد البخيتي ليسال ممن يعمل معه او يتردد عليه من ابناء هذه المنطقة عما اذا كان هنالك جبل يعرف باسم(جبل دقن- بالذال المعجمة كما جاء اسمه في النقش) باعتباره المنبع الأساسي لـ (الثيل) وجاء رد الاخ المحافظ بعد ساعة من الزمن بان في (وادعة همدان)بالقرب من (الحقة) الى شمالها جبل يعرف باسم (جبل دقن- بفتحتين ودال مهملة) ثم عبر بما عرف عنه من الثقافة والحماس الوطني عن عزمة الانضمام الى المجموعة ومعه الاخ عبدالوهاب محسن سريع من شبان المنطقة، والمسؤول والاخ المؤرخ الاستاذ علي جار الله الذيب المهتم بتاريخ اليمن عامة وبتاريخ (همدان الكبرى) واخبارها واشعارها بصفة خاصة.

كان ذلك يوم الثلاثاء 2/2006م وتم تحديد يوم الخميس /2 لخروج هذه المجموعة التي اصبحت بعثة علمية حقيقة وستصدر عنها دراسات من كل حسب اختصاصه منها هذه المحاولة التي اصر جميع الإخوان على انها الأنسب للنشر.

وفي يوم الاربعاء المتوسط بين يومي الاعداد ويوم التنفيذ رايت ان اجدد معلوماتي وذكرياتي عن المنطقة فخرجت مع سائق السيارة الاخ عبدالله محمد الشرفي وفي بلدة(المعمر) التي تطورت كثيراً عما كنت اعهدها رايت رجلاً حدست انه من ابناء البلدة وتوسمت فيه النباهة فدعوته وعرضت عليه ان يرافقنا فرحب دون تردد وتعرفنا عليه فاذا هو من مشائخ منطقة (المعمر) وهو الشيخ محمد محسن الذيب وبلدة (المعمر) تحمل هذا الاسم فيقال لها (معمر الذيب).

هذا وسارجئ الحديث عن هذه البعثة الى التعليق العام مع الاشارة الى ما استفتده من اصحاب الاختصاص فيها في مواضعة.

اما الان فامهد لنشر النقش بتمهيدين الاول: عرض سريع حول ما جاء في كتب التراث عن (نار ضروان) والثاني حول النقش وما فيه من نقص ، ثم ياتي نشر النقش وشرحة.

عرض عام:

قال يا قوت بن عبدالله الحموي(*)

" ضروان : بالتحريك واخره نون: بليد قرب (صنعاء) سمى باسم وادٍ هو على طرفه وذلك الوادي مستطيل وهذه المدنية على طرفه من جهة (صنعاء) (!).

وطول الوادي مسيرة يومين او ثلاثة، وعلى طرفة الآخر مدينة يقال لها (شوابة).

وهذا الوادي المسمى بـ ضروان وهو بين هاتين البلدين _ قريتي وضروان وشوابة وهو واد ملعون جرج (1) مشؤوم حجارته تشبه أنياب الكلاب لايقدر أحد أن يطأه بو جه ولاسبب ولاينبت شيئاً ولا يستطيع طائر أن يمر به فإذا قاربه مال عنه. وقيل : هي الأرض التي ذكرها الله في كتابه العزيز وقيل : إنها كانت أحسن بقاع الله في الأرض وأكثر دخلا وفاكهة وأهلها عوا إليها وتواصوا الا يدخلها عليهم مسكين فأصبحوا فوجدوا نارا تأجج فمكثت النار تتقد منها ثلاثمائة سنة .... الخ.

وقال القاضى محمد بن علي الأكوع (**)

ضروان : بلدة من همدان الدنيا من ملحقات صنعاء وأقعة في شمالها بمسافة ست ساعات _ سيراً وكان بها الجنة التي حكى الله عليها في سورة (ن والقلم) والناس يعرفون ذلك إلى يوم الناس هذا.. وهي أرض محترقة سواء جرداء شوهاء المنظر ذات ضروع وتضاريس تحفي الأقدام وتدميها

ويرجع البصر عنها خاسئاً وهو حسير وإية العذاب عليها بادية والعصريون يرون أن ما كان مثل هذا فإنه من قبيل البركان وعلى كل فهو يدل على وقوع النار وعلى حادث تاريخي مهول مصداقاً لأي القرآن الكريم..

وقال الدكتور جواد علي :

ولعل قوة نيران حرة ضروان وشدة قذفها للحمم وأرتفاع لهيبها هي التي دفعت أهل اليمن إلى التعبد لها والتحاكم إليها فقد كانوا يذهبون إليها ليتحاكموا عندها فيما يحدث عندهم من خلاف والرأي عندهم أن النار تخرج فتاكل الظالم وتنصف المظلوم وقد كانت حرة نشطة عاشت أمدا طويلا كما يظهر من وصف الهمداني ووصلت حممها إلى مسافات بعيدة عن الحرة من يزور (الحرات)و(اللابات) في هذه المنطقة من (وادعة همدان) فانه إن ينس شيئاً فلن ينسى أبداً ما يتركه في نفيه منظر هذه الأراضي المحترقة او التي غمرتها البراكين بـ(ثيولها) التي كانت تنطفي وتتجمد فتتراكم عليها طبقات تعلوها طبقات وأذكر ولم أكن قد قرأت كلام يأقوت أن تكوين هذه (الحرار) كان يعيد إلى ذهني الصورة الخيالية لـ (رؤوس الشياطين) ويذكرني بـ(أشداق التماسيح)» ويستطيع الناظر إليها حتى ولو لم يكن خبيراً في هذا المجال أن يلاحظ أن المنطقة شهدت في الفترة التي يتحدث.

هوامش:

1 - الثيل: هو سيل الحمم البركانية المنصهرة كما سياتي وقد داهم (الثيل) (الحقة- حقة همدان-) وكاد بطمها ولكنه انصر عنها نحو الجنوب الشرقي، فحق على اهل (دمهان) حمد الههم على هذه الانطاف.

2 - عن (معجم ماستعجم) ج/ 3 ص 895 لعبد الله عبدالعزيز البكري الاندلسي المتوفي 487هـ 940م، مع تصحيح (بيت الحالك) الى (بيت الجالد) و(ذي ابين) الى (ضي بين) من واقع المنطقة واول من صححها القاضي العلامة محمد بن علي الاكوع رحمه الله في الاكليل ج/ 1 ص 33.

3 - عن (الجامع لأحكام القرآن) المعروف بـ (تفسير القرطبي) ج/ ص لمؤلفة محمد بن احمد الخزرجي الاندلسي القرطبي وصحفت فيه (ضروان) الى (ضروان) وهو تصحيف من النساخ او عند الطبع فقد كان اكثر نقل علماء الاندلس عن الهمداني فيما يذكرون من اخبار اليمن والهمداني لم يذكر الا (ضروان) كما تقدم عن (البكري) و(القرطبي) ان لم يرجع الى الهمداني فهو يشتهشد في تفسير بـ البكري) بما في ذلك تفسيره لهذه الآيات، فعند ذكر(الطائف) سرعان ما قال(قال البكري في المعجم .. الخ) كما ستري.

1 - أهدى إلي الباحث اليمني المحقق الدكتور/ مقبل التام عامر الأحمدي الأسفار الثلاثة لـ مدونة النقوش اليمانية « المعروفة بالـ (كوريوس) مجلدة باسمي لانه سمعني أتحدث عن المحاولة غير الموافقة التي بذلتها للحصول عليها فبادر الى تقديم هذا الصنيع الجميل فله على ذلك مني الشكر الصادق الجزيل والجميل.

1 - ناحية (همدان) قريبة من (صنعاء) يطلق عليها المحققون، اليمنيون، المحدثون أسماء متعددة مثل (همدان الصغرى) و (همدان صنعاء) و(همدان الدينا- النوها من صنعاء) اما في نقوش المسند فاسيما هو (حملان) وقد ذكر الهمداني ايضاً هذا الاسم وكانت في تاريخ لايمن القديم كيانا اجتماعياً سياسياً هاماً يحكمه الاقيال (بنوتبع) القاطنون في (جار) وظهر منهم ملوك تسلموا عرش (سبأ) في (مأرب).

1 - وكذلك كلمة (المثيل) ولكنن هذا امر متروك للدارسين اليمنيين المتخصصين في هذا مجال، والذي دعا الى التطرق إليه هو ما صرح به الدكتور محمد عبدالباري القدسي الأكاديمي المتخصص في الدارسات البركانية عندما اطلع على المسودة الأولى لما كتب حول هذه المادة اللغوية حيث قال بحاسة لغوية يقظة وذكية ان هذه المادة اللغوية هي ما يحتاج إليه الدارسون. لجيولوجيون وهي حائرة على كل ما يرهلها لان تشتق منها المصطلحات العلمية الدقيقة في هذا المجال ولهذا قال بأنه سيعمل على إدخالها في مجال الدراسات الجيولوجية اليمنية بمختلف فروعها.

1 - الصورة في الملحق مجتزأة من هذه الخارطة التي احضرها الدكتور إسماعيل الجند

2 - جميع الصورة الفوتوغرافية في الملحق من تصوير الأستاذ عبدالكريم حسين الارياني

3 - كتاب معجم البلدان ج/2/ص456.

أسئلة بحاجة إلى إجابات !!!

■ أنيس محمد صالح

من شريط الذكريات... وفي أحد البلدان العربية... كان لي صديق عزيز لديه الكثير من الصفات الطيبة والحميدة... وكان خلافي معه حول إدمانه للخمور والكحول وتأثير ذلك على حياته الأسرية الخاصة والعامة, وكان ميسور الحال يبعثر أمواله بطريقة مستهجنة كريهة... وقد حاولت جاهدا معه وناصحا له أن يتوقف عن العبث، وشرب الخمور والكحول والمُسكرات حفاظا على حياته الأسرية والمهنية... إلا انه أبى!!! وتحجج بحجج واهية!!! ما اضطرني إلى تركه والدعاء له بالهداية!!!

وفي إحدى ; الليالي، وبعد مشادة عنيفة مع أهله، غاب على أثرها عن منزله لثلاثة أيام، ما ستدعى من أهله التبليغ عن فقدانه لدى مراكز الشرطة... والبحث عنه في المراكز والمستشفيات ولم يجدوا له أثرا. وقد استنجد أهله بي للعثور عليه حيا أو ميتا!!! وذهبت مع بعض إخوته للبحث عنه آملين وندعو الله جل جلاله أن لا يصيبه أي مكروه وليعود إلى أهله سالما!!! وأستقر بنا القرار أخيرا على البحث عنه في الفنادق الليلية لعلنا نجده!!!

وأثناء البحث لدى آخر فندق ونحن فاقدو الأمل... لأن هذا الفندق خاص بعرض أجساد النساء الكاسيات العاريات للسكارى... والذي استبعدنا وجوده فيه... كانت المفاجأة!!!

وجدناه في الصف الأول من المسرح محاطا بخمسة من الأئمة الأفاضل!!! لحية الواحد فيهم تصل إلى السُرة (لحية حتى البطن) وهم في حالة ثملة وسُكر وأمام النساء الكاسيات العاريات وأمام كل الناس!!! ما أن رآنا صديقي العزيز حتى قفز إلينا مُحييا ومُرحبا... وهو يعرفنا على أصدقائه:

القاضي فُلان بن فلان قاضي المحاكم الشرعية الإسلامية ....(؟؟؟). والقاضي الشرعي فلان بن علان (وكلهم من العُلماء – عُلماء الجهل وأشد الكفر والنفاق)!!!

وهو يعرفنا على الواحد تلو الآخر وهو في حالة سُكر وثمالة... ونحن في حالة اشمئزاز وذهول!!! وكلهم أئمة أفاضل أصحاب لحى حتى السُرة... ومن المقربين للحاشيات والبطانات!!!

والسؤال هنا: هل هؤلاء هم أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون؟؟؟ وتعرفهم بسيماهم!!! ومن خلال الشوارب واللحى!!! يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم!!!

لقوله تعالى:

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ «44البقرة»

وفي نفسي اعتبرت ان هؤلاء هم ليسوا أكثر من حُثالات... ولا يمثلون إلا أنفسهم... ولكل قاعدة شواذ... في محاولة لإقناع نفسي... (وفي نفسي ازدراء وغثيان)!!!

ومن شريط الذكريات... وفي حادثة أخرى... وفي احد الموانئ العربية والمُحرم فيها شُرب الخمور والكحول!!! وأثناء ترجلي على أرصفة الميناء مع الوكيل الملاحي ونحن بانتظار السيارة للذهاب إلى المدينة... إذا بنا نسمع دويا هائلا بالقرب منا... فالتفتنا حولنا فإذا بحاوية كبيرة سقطت من على ارتفاع كبير... أثناء تفريغها من على ظهر السفينة المجاورة وعلى الرصيف مباشرة، ما سبّب ذلك الدوي الهائل... ما أدى بالنتيجة إلى إن الحاوية فتحت على مصراعيها وتهشم معظم ما فيها... فإذا برائحة الخمور والكحول والمسكرات من أغلى وأرقى الخمور والكحول والمسكرات!!! وغطت رائحتها مساحة واسعة، وهي كلها مُبعثرة على مساحة كبيرة من الرصيف البحري... ما أدى إلى أن الوكيل الملاحي طلب مني العودة برفقته إلى سفينتنا مُسرعين... وهو خائف مُرتعب (وهو من الوافدين العرب – مُقيم منذ أكثر من 15 عاما ولا يزال وافدا)!!!

سألته عن السبب ؟؟؟ فقال: هذه الحاويات في الغالب لا تأتي عن طريق سُفن الحاويات المخصصة، بل تدخل مباشرة إلى الميناء ويُمنع فتحها أو تفتيشها، لأنها خاصة!!! وأكد لي انني لن أرى شركة الشحن والتفريغ التي أوقعت الحاوية غدا!!! واستبعدت ذلك !! لأن أخطاء مثل هذه تحدث نتيجة أن السفينة ليست سفينة حاويات... وليست مخصصة لتفريغ الحاويات!!!

وفي اليوم التالي... وأثناء مروري بجانب السفينة التي أسقطت حاوية الكُحول والخمور والمسكرات، أدَعيت بأنني أسأل عن شخص أعرفه من الشركة السابقة للتأكد بنفسي... فإذا بأحد العاملين يقول بلغة عربية مُكسرة: هذا كله سافر بلاده!!!

فسألته عن السبب؟؟؟ فقال: تلك الشركة أسقطت أمس مولد كهرباء كبير!!!

وفعلا صدق كلام الوكيل الملاحي عندما أنهوا خدمات شركة الشحن والتفريغ... ورحلوها من البلاد في غضون 24 ساعة!!!

إلى جانب الكثير من شريط الذكريات الأخرى... ومما لاحظته من أشكال المعاملات... كالصدق والأمانة، في أثناء زياراتي لبعض البلدان الأوروبية... ابتداء بسائقي التاكسي وانتهاء بالتسوق... ولا يخدعونك ولا يغشونك ولا يحتالون عليك... وخاصة عندما يعلمون بأنك غريب عن بلادهم... بعكس ما نراه في ما يسمى بالبلدان العربية والإسلامية من غش وخداع ومكر واحتيال مستشر... وخاصة إذا علموا بأنك غريب!!!

بالإضافة إلى ما يحدث اليوم في البلد العربي العراق الشقيق... مسقط رأس سيدنا خليل الرحمن أبو الأنبياء إبراهيم (صلوات الله عليه) !!! بلد أهل العلم والأصالة

والتأريخ!!! وهو مُحتل ويعاني أشكال القتل لمئات الآلاف من الشعب العراقي، بالإضافة إلى عشرات الآلاف من الجرحى والمعوقين والدمار الشامل والبطش والتشريد والتنكيل والعدوان اليومي والضنك!!!

هل ما يحدث لهم اليوم وقد تحولوا إلى مسلمي مذاهب ومسلمي طوائف ومسلمي شيَع ومسلمي أحزاب ومسلمي جماعات... عظموا بشرا ميتا وأشركوهم مع الله جل جلاله الحي الذي لا يموت... هل ما يحدث في العراق اليوم هو ابتلاء من عند الله جل جلاله على صدقهم مع الله وإيمانهم الخالص له؟؟؟ أم انه ربما قد يكون عذابا نُكرا من عند الله جل جلاله عندما لم يسلموا وجوههم لله وحده لا شريك له، ولم يتوكلوا عليه وحده لا شريك له؟؟؟

لقوله تعالى:

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ «64» آل عمران

وقوله تعالى:

**قُلْ هُوَ الْقَادِر